بسم الله الرحمن الرحيم

شَمَائِلُ النَّبِيِّ ﷺ... نُورُ الْهِدَايَةِ وَطَرِيقُ النَّجَاةِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَبَانَ لِلنَّاسِ مَعَالِمَ الْحَقِّ الْمُبِينِ، وَجَعَلَ لَهُمْ ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾[١]، فَأَرْسَلَ مِنْهُمْ مُحَمَّدًا ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[٢]، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[٣]، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وُلِدَ النُّورُ بِمَوْلِدِهِ، وَبُعِثَتِ الْإِنْسَانِيَّةُ مِنْ ضَيَاعِهَا بِمَبْعَثِهِ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْكِرَامِ الْمَيَامِينِ، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فـ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٤].

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ:

لَقَدْ خَصَّ اللَّهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِأَكْمَلِ الشَّمَائِلِ، وَأَزْكَى الْخِصَالِ، فَجَمَعَ لَهُ مِنْ كَرِيمِ الْأَخْلَاقِ، وَعَظِيمِ الْحِلْمِ، وَسَعَةِ الرَّحْمَةِ، وَصِدْقِ اللَّهْجَةِ، وَوَفَاءِ الْعَهْدِ، وَلِينِ الْجَانِبِ، وَحُسْنِ الْمُعَامَلَةِ، مَا جَعَلَهُ الْقُدْوَةَ الْكَامِلَةَ لِلْبَشَرِيَّةِ، حَتَّى أَثْنَى عَلَيْهِ رَبُّهُ بِقَوْلِهِ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[٥]. وَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الشَّمَائِلُ وَاقِعًا يَرَاهُ النَّاسُ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ، وَتُتَرْجِمُهَا مَوَاقِفُهُ مَعَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، فَتَأَمَّلُوا مَعِي هَذَا الْمَشْهَدَ: يَأْتِي أَعْرَابِيٌّ فَيَجْذِبُ النَّبِيَّ ﷺ مِنْ ثَوْبِهِ، وَيُغْلِظُ لَهُ فِي الْقَوْلِ، فَلَا يُقَابِلُهُ النَّبِيُّ إِلَّا بِابْتِسَامَةٍ وَحِلْمٍ، ثُمَّ يَأْمُرُ لَهُ بِعَطَاءٍ. وَتَأَمَّلُوا مَشْهَدًا آخَرَ: يَقِفُ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ ﷺ فَتَأْخُذُهُ الْهَيْبَةُ حَتَّى تَرْتَعِدَ فَرَائِصُهُ، فَيُطَمْئِنُهُ بِقَوْلِهِ: «هَوِّنْ عَلَيْكَ». فَإِذَا اجْتَمَعَتِ الْعَظَمَةُ بِالتَّوَاضُعِ، وَالْقُوَّةُ بِالْحِلْمِ، وَالْهَيْبَةُ بِالرَّحْمَةِ، وَالْجَلَالُ بِالْجَمَالِ، فَذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، جَمِيلُ الشَّمَائِلِ، كَرِيمُ الطِّبَاعِ، عَظِيمُ السِّيرَةِ، نَقِيُّ السَّرِيرَةِ.

---

(١) النساء: ١٦٥
(٢) الأنبياء: ١٠٧
(٣) التوبة: ٣٣
(٤) الحديد: ٢٨
(٥) القلم: ٤

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

مَعَ مَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ كَرِيمِ الْأَخْلَاقِ وَعَظِيمِ السَّجَايَا، وَمَعَ مَا بَلَغَهُ مِنْ مُنْتَهَى الْكَمَالِ الْإِنْسَانِيِّ، فَإِنَّ الْعَظَمَةَ تَتَجَلَّى أَكْثَرَ تَأَلُّقًا فِي الرِّسَالَةِ الَّتِي حَمَلَهَا، وَفِي الشَّرِيعَةِ الَّتِي دَعَا إِلَيْهَا، كَمَا تَلُوحُ وَاضِحَةً فِي الْأَثَرِ الَّذِي أَحْدَثَهُ ﷺ فِي الْبَشَرِيَّةِ. لَقَدْ وُلِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْعَالَمُ يَرْزَأُ تَحْتَ وَطْأَةِ الظُّلْمِ وَالضَّلَالِ، فِي عَالَمٍ ضَلَّتْ فِيهِ الْبَشَرِيَّةُ عَنِ الْحَقِّ وَالْهِدَايَةِ، فَصَارَتْ تَائِهَةً فِي الضَّلَالَاتِ، مُتَخَبِّطَةً فِي الْأَوْهَامِ وَالْخُرَافَاتِ، فِي عَالَمٍ يَعْدُو فِيهِ الْقَوِيُّ عَلَى الضَّعِيفِ، وَالْأَخُ عَلَى أَخِيهِ، تُهْدَرُ فِيهِ حُقُوقُ الْمَرْأَةِ، وَتُقْطَعُ فِيهِ أَوَاصِرُ الْقَرَابَةِ، وَتَضْعُفُ فِيهِ مَعَانِي التَّكَافُلِ وَالرَّحْمَةِ وَالْعَدَالَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ. فَبُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ مُنْقِذًا لِلْبَشَرِيَّةِ، مُقِيمًا لِأُسُسِ الْعَدْلِ، وَنَاشِرًا جِلْبَابَ الرَّحْمَةِ، يَقُولُ عَنْهُ رَبُّهُ ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[1]، فَهُوَ رَحْمَةٌ إِلَهِيَّةٌ وَمِنَّةٌ رَبَّانِيَّةٌ: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾[2].

يَا أَتْبَاعَ رَسُولِ اللَّهِ:

لَقَدِ انْتَقَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى، لَكِنَّهُ مَا زَالَ حَيًّا بَيْنَكُمْ بِسُنَّتِهِ، وَارْتَقَتْ رُوحُهُ إِلَى بَارِئِهَا، لَكِنَّ رُوحَ دَعْوَتِهِ مَا زَالَتْ فِيكُمْ، تَصْدَحُ فِي مَسَاجِدِكُمْ، وَيَفُوحُ عَبِيرُهَا فِي مَجَالِسِكُمْ، تَنْقُلُونَهَا عَبْرَ الْأَجْيَالِ، وَتُبَلِّغُونَهَا لِلْعَالَمِينَ. إِنَّنَا -أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ- بِتَمَسُّكِنَا بِسُنَّةِ نَبِيِّنَا لَنُجَسِّدُ حَقِيقَةَ حُبِّنَا لَهُ، وَإِيمَانِنَا بِهِ، وَبِتَبْلِيغِنَا هِدَايَتَهُ نَسِيرُ عَلَى نَهْجِهِ وَسَبِيلِهِ الَّذِي ارْتَضَاهُ لَنَا: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾[3].

فَاتَّقُوا اللَّهَ -عِبَادَ اللَّهِ-، وَلْتُدْرِكُوا أَنَّ أَعْظَمَ مَا تُتَرْجَمُ بِهِ مَحَبَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لُزُومُ سَبِيلِهِ، وَالاعْتِصَامُ بِهَدْيِهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ- جَعَلَ اتِّبَاعَ نَبِيِّهِ بُرْهَانَ مَحَبَّتِهِ، فَقَالَ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[4]، فَاسْأَلُوا اللَّهَ الثَّبَاتَ عَلَى هَدْيِ نَبِيِّكُمْ ﷺ، وَلُزُومَ سُنَّتِهِ، وَحُسْنَ الاقْتِدَاءِ بِهِ، وَأَنْ يَجْعَلَكُمْ مِنْ أَهْلِ مَحَبَّتِهِ، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ.

(١) الأنبياء: ١٠٧
(٢) آل عِمْرَان: ١٦٤
(٣) يوسف: ١٠٨
(٤) آل عمران: ٣١

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ.

*** *** ***

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الشَّاكِرُ لِإِحْسَانِهِ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللَّهِ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(١)، فَلْتَعْلَمُوا أَنَّ مَحَبَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَيَاةٌ تُتَرْجِمُهَا الْأَعْمَالُ، وَيُصَدِّقُهَا الاتِّبَاعُ، وَتَظْهَرُ آثَارُهَا فِي الْأَخْلَاقِ وَالسُّلُوكِ، فَمَنْ أَحَبَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَارَ عَلَى هَدْيِهِ، وَاسْتَضَاءَ بِسُنَّتِهِ، وَتَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِهِ، فَكَانَ رَحِيمًا بِالْخَلْقِ، صَادِقًا فِي قَوْلِهِ، أَمِينًا فِي مُعَامَلَتِهِ، حَلِيمًا عِنْدَ الْغَضَبِ، عَفُوًّا عِنْدَ الْمَقْدِرَةِ، مُتَوَاضِعًا لِلنَّاسِ، مُحْسِنًا إِلَيْهِمْ، فَالسُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ أَخْبَارٌ صَادِقَةٌ تُرْوَى، وَهِدَايَةٌ حَيَّةٌ تُتَّبَعُ، وَمَنْهَجٌ يُقِيمُ الْقَلْبَ، وَيُهَذِّبُ النَّفْسَ، وَيُصْلِحُ الْأُسْرَةَ، وَيَبْنِي الْمُجْتَمَعَ، فَفِيهَا هَدْيٌ لِلزَّوْجِ إِلَى حُسْنِ الْعِشْرَةِ، وَلِلْأَبِ إِلَى الرَّحْمَةِ بِأَبْنَائِهِ، وَلِلابْنِ إِلَى بِرِّ وَالِدَيْهِ، وَلِلْجَارِ إِلَى أَدَاءِ حَقِّ جَارِهِ، وَلِلتَّاجِرِ إِلَى الصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ، وَلِلْغَنِيِّ إِلَى الْإِحْسَانِ وَالْمُوَاسَاةِ، وَلِلْقَوِيِّ إِلَى الرِّفْقِ بِالضَّعِيفِ. وَهِيَ بِذَلِكَ طَوْقُ نَجَاةٍ لِلْفَرْدِ وَالْمُجْتَمَعِ مِنْ غَوَائِلِ الظُّلْمِ، وَآفَاتِ الْفُرْقَةِ، وَأَسْبَابِ الشِّقَاقِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾(٢)، فَبِذَلِكَ تَصْدُقُ الْمَحَبَّةُ، وَيَعْظُمُ الاقْتِدَاءُ، وَتَبْقَى السُّنَّةُ حَيَّةً فِي الْبُيُوتِ وَالْمُعَامَلَاتِ وَالْمَجَالِسِ، تَهْدِي الْحَائِرَ، وَتَجْمَعُ الْكَلِمَةَ، وَتَبْنِي الْإِنْسَانَ، وَتُحَقِّقُ وَعْدَ اللَّهِ لِعِبَادِهِ: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(٣).

فَاتَّقُوا اللَّهَ -عِبَادَ اللَّهِ-، وَأَقِيمُوا سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ، وَامْتَثِلُوا هَدْيَهُ فِي بُيُوتِكُمْ وَمُعَامَلَاتِكُمْ وَمُلْتَقَاكُمْ، وَكُونُوا دُعَاةً إِلَى سُنَّتِهِ بِأَخْلَاقِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ، حَتَّى يَرَى النَّاسُ فِيكُمْ أَثَرَ نَبِيِّكُمْ، وَيَجِدُوا فِي مُعَامَلَتِكُمْ نُورَ رِسَالَتِهِ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا».

(١) التوبة: ١٢٨
(٢) الأحزاب: ٢١
(٣) الأحزاب: ٧١

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ، مُحَمَّدٍ الهَادِي الأَمِينِ، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾(١).

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وسَلَّمتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وعَنْ جَمْعِنَا هَذَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلا تَدَعْ فِينَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ وَاهْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَقِّ، وَاجْمعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الخَيْرِ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلامَ وَالأَمْنَ لِعِبادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ كُنْ عَوْنًا للمُسْلِمِينَ والمُسْتَضْعَفِينَ فِي كُلِّ مَكانٍ، وَكُنْ مَعَهُمْ وَثَبِّتْهُمْ وَارْبِطْ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَصَبِّرْهُمْ، وَاخْذُلْ عَدُوَّكَ وَعَدُوَّهُمْ، وَاجْعَلِ الدَّائِرَةَ عَلَيْهِ يَا ذَا الجَلالِ وَالإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الثَّباتَ فِي الأَمْرِ، وَالعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، ونَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، ونَسْأَلُكَ قُلُوبًا سَلِيمةً، وأَلْسِنةً صَادِقةً، ونَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَنعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوفِيقِكَ، وَاحفَظْهُ بِعَينِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وكُلِّ أَرزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ. رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ، المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَاتِ، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾.

(١) الأحزاب: ٥٦